حياة أعظم الرسل

مِن أخلاقِ الرسول

الوفاء والإخلاص والصراحة

مِن أخلاقِ الرسول

الوفاء والإخلاص والصراحة

عُرِفَ الْمُصطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بِشِدَّةِ الْوَفَاءِ ؛ فَقَد حَضَرَ جَمَاعَةٌ مِن عِندِ النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشةِ ، فَقَامَ الـرَّسُولُ نَفسُهُ بِخِدمَةِ هـؤُلاَءِ الضُّيُوفِ .

فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : إِنَّكَ قَـد فَعَـلْتَ مَا فِيهِ الْكِفَايَةُ . فَقَالَ الرَّسولُ الوَفِـيُّ : « إِنَّهُم كَانُوا لِأَصْحَابِنَا مُكْرِمِينَ ، وإِنِّى

أُحِبُّ أَن أُكَافِئَهُم (أُكرِمَهُم) .

وَكَانَ الرَّسُولُ وَفِيًّا كُلَّ الوَفاءِ لِلسَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ فِى حَيَاتِهَا وَبعدَ موتِها ، حَتَّى قَالَتَ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ زَوجَتُهُ : مَا غِرْتُ مِن امرَأَةٍ مِثل غَيْرَتِى مِن خَدِيجَةَ لَمَّا كُنتُ أَسمَعُهُ يَذكُرُهَا . وَكَانَ عَلَيهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِذَا جَاءَتْهُ هَدِيَّةٌ قَالَ : اِذهَبُوا بِهَا إِلَى بَيتِ فُلاَنَة ؛ إِنَّهَا كَانَتْ صَدِيقَةً لِخَدِيجَةَ . إِنَّهَا كَانَت تُحِبُّ خَدِيجَةَ . وَذَاتَ يَومٍ قَالَت لَهُ عَائِشَةُ : يَارَسُولَ

اللهِ ، أَنَا أَصغَرُ مِن خَدِيجَةَ ، وَأَجمَلُ ، فَهَل تُحِبُّنِى أَكثَرَ مِنهَا ؟ فَأَجَابَ الرَّسُولُ الوَفِىُّ بِمَا معنَاهُ : « لَا وَاللهِ ، فَقَد آمَنَت بِى فِى وَقتٍ لَم يُؤمِنْ بِى فِيهِ أَحَدٌ ، وَسَاعَدَتْنِى كُلَّ الْمُسَاعَدَةِ فِى أَدَاءِ رِسَالَتِى ، وَسَهَّلَتْ لِى كُلَّ صَعْبٍ .

حَقًّا لَقَد كَانَ رَسُولُ اللهِ مَثَلاً عَالِيًا لِلْوَفَاءِ والنُّبلِ ، يَفِى بِوعْدِهِ لِلعَدُوِّ كَمَا يَفِى لِلصَّدِيقِ . وَلَم يُعرَفْ عَنهُ فِى حَيَاتِهِ كُلِّهَا أَنَّهُ أَخْلَفَ وَعْدًا ، أَو غَدَرَ (تَرَكَ

الْوَفَاءَ) بِإِنسَانٍ ، وَلَو كَانَ مِنَ الْأَعدَاءِ .
وَقَالَ عَرَبِىٌّ : بِعْتُ شَيئًا لِمُحَمَّدٍ ، وَوَعَدْتُهُ أَن آتِيَهُ فِى مَكَانِهِ ، فَنَسِيتُ فَذَكَرتُ الوَعْدَ بَعدَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فَذَهَبْتُ إِلَيهِ ، فَوَجَدْتُهُ فِى مَكَانِهِ . فَلَمَّا رَآنِى لَم يَزِدْ عَلَى أَن قَالَ : لَقَدَ شَقَقْتَ عَلَىَّ ، (لَقَد أَتعَبْتَنِى كَثِيرًا) ، أَنَا هُنَا مُنذُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ أَنتَظِرُكَ . وَكَانَ ذٰلِكَ قَبلَ أَن يُختَار مُحَمَّدٌ نَبِيًّا .

وَقَالَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ : « إِنَّ امرَأَةً

عَجُوزًا جَاءَت إِلَى النَّبِيِّ وَسَأَلَهَا عَنِ اسمِهَا وَقَالَ لَهَا : كَيفَ أَنتُم ؟ كَيفَ حَالكُمُ ؟ كَيفَ كُنتُم بَعدَنا ؟

قَالَت : نَحنُ بِخَيرٍ .أَفدِيكَ أَنتَ بِأَبِى وَأُمِّى . فَلَمَّا خَرجَتْ قُلتُ : « يَارَسُولَ اللهِ ، أَتُقْبِلُ عَلَى هٰذِهِ العَجُوزِ هٰذَا الْإِقبَالَ ، (وَتَهتَمُّ بِهَا هٰذَا الاِهتِمَامَ) ؟

قَالَ : إِنَّهَا كَانَت تَأتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ ، وَإِنَّ حُسنَ الْعَهْدِ (الوَفَاءِ) مِنَ الْإِيمَانِ .

وَمِن وفَائِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ

أَنَّهُ حِينَمَا اشتَدَّ بِهِ مَرَضُ الْمَوْتِ خَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ ، وَقَالَ : يا مَـعْشَرَ (جَمَاعَـةَ) الْمُهاجِرِيـنَ ، اِستَوصُوا بِالْأَنصَارِ خَيـرًا فَـإِنَّ النَّـاسَ يَزِيدُونَ ، وَإِنَّ الْأَنصَارَ لَا تَزِيدُ ، وَإِنَّهُم كَانُوا عَيْبَتِي (مِثلَ دَارِي) الَّتِي أَوَيْتُ اَلَيْها (نَـزَلتُ بِهَـا) ، فَأَحسِنُوا إِلَـى مُحْسِنِهِم ، وَتَجَاوَزوا عَن مُسِيئِهِم) .

فَالرَّسُولُ الْوَفِـيُّ يُـوصِي بِـالأَنصَارِ خَيرًا قَبلَ انتِقَالِهِ مِن هٰـذا الْعَالَمِ . وَهٰـذا

مَثَلٌ عَالٍ فِى الْوَفَاءِ .

عَظَمَةُ مُحَمَّدٍ فِى إخلاصِهِ :

كَانَ عُتْبَةُ بنُ رَبيعَةَ مِن كِبَارِ أَهْـلِ مَكَّةَ . وَذَاتَ يَومٍ قَالَ : يَا مَـعْشَرَ (جَمَاعَةَ) قُرَيشٍ ، أَتَسمَحُونَ لِى أَن أَذهَبَ إِلَى مُحمَّدٍ ، فَأُكَلِّمَهُ ، وَأَعْرِضَ عَلَيهِأُمُورًا أَرجُو أَن يَقبَلَ بَعضَهَا ، فَنُعطِيَهُ إِيَّاهَا ، وَيَكُفَّ (يَمتَنِعَ) عَنَّا ؟

فَقَالُوا لَهُ : اِفعَلْ مَا تَـرَاهُ مُنَاسِبًـا .

فَذَهَبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ وَهُوَ يُصَلِّى فِى

الْمسَجِدِ ، وَقَالَ : يا ابنَ أَخِـى ، إِنَّكَ مِنَّا ، وَمِـن خِيَارِنَـا (أَحسَنِنَـا) شَرَفًا وأُسرَةً ، وإِنَّك قَد أَتَيتَ قَـومَكَ بِأَمْـرٍ عَظِيمٍ ، فَرَّقْتَ بِهِ جَمَاعَتَهُم ، وَحَكَمْتَ عَلَى عُقُولِهِم بِالطِّيشِ وَسُوءِ التَّفكِيرِ . وَعِبْتَ آلِهَتَهُم وَدِينَهُم . وَحَكَمْتَ عَلى مَن مَضَى مِنَ آبَائِهِم بِالْكُفْرِ .. فَاسمَـعْ مِنِّى ؛ لِأَعرِضَ عَلَيكَ أُمُورًا تَنظُرُ وَتُفَكِّرُ فِيهَـا . وَإِنَّنِى أَرجُـو أَن تَقبَـلَ مِنَّـا بَعَضَها .

فَقَالَ عَلَيهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ :

قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ . فَقَالَ :

يَا ابنَ أَخِى ، إِن كُنتَ تُرِيدُ بِمَا جِئتَ بِهِ مِن هـٰذَا الْأَمرِ ـــ مَالاً ، جَمَعْنَا لَكَ مِن أَموالِنَا (مَا تُحِبُّ) حَتَّى تَكُونَ أَكثَرَنَا مَالاً . وإِن كُنتَ تُرِيدُ شَرَفًا جَعلنَاكَ سَيِّدًا عَلَينَا ، حَتَّى لاَ نَعمَلَ عَملاً مِن غَيرِ أَن نَستَشِيرَكَ فِيهِ . وَإِن كُنتَ تُرِيدُ مُلْكـاً جَعَلنَاكَ مَلِكاً عَلَينا . وَإِن كَانَ الَّـذِى يَأتِيـكَ مَسًّـا مِـنَ الْجِـنِّ لاَ تَـستَطِيعُ

رَدَّهُ عَن نَفسِكَ ، طَلَبْنَا لَكَ الـطِّبَّ ، وَقَدَّمنَا فِيهِ أَموَالَنَا حَتَّى نَشفِيَكَ مِنْه . فَقَالَ الْمُصطَفَى صَلَى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : لَقَد فَرَغْتَ (انتَهَيتَ) يا أَبَا الْوَلِيدِ . قَالَ نَعَم .

قَالَ الرَّسُولُ : فَاسمَعْ مِنِّى : فَقَرأَ صَلَّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَ سُورَةِ فُصِّلَت :

﴿ بِسمِ اللّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ . حَمَ . تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

(يَفهَمُونَ) . بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، فَأَعْرَضَ أَكثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسمَعُونَ . وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِى أَكِنَّةٍ (أَغطِيَةٍ) مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ، وَفِى آذَانِنَا وَقْرٌ ، (صَمَمٌ) وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ (خِلاَفٌ فِى الدِّينِ) ، فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ . قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ (إِنسَانٌ) مِثْلُكُمْ ، يُوحَى إِلَىَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ، فَاستَقِيمُوا إِلَيْهِ (فَاقصِدُوهُ بِالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ) ، وَاسْتَغْفِرُوهُ (أُطلُبُوا مِنهُ الْمَغْفِرَةَ) ،

وَوَيْلٌ (عَذَابٌ وَهَلاَكٌ) لِلْمُشرِكِينَ . الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ (لَا يُعطُونَ) الزَّكَاةَ ، وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ . (مَقطُوعٍ) إِلَى آخِرِ آيَةِ ١٤ . وَعِندَ ذٰلِكَ أَمسَكَ عُتْبَةُ بِفَمِ الرَّسُولِ ، وَرَجَاهُ أَن يَكُفَّ (يَمتَنِعَ) عَنِ الِاستِمرارِ فِى الْقِراءَةِ .

فَلَمَّا رَجَعَ عُتْبَةُ سَأَلُوهُ . فَقَالَ : وَاللهِ سَمِعْتُ قَولاً مَا سَمِعْتُ مِثلَهُ قَطُّ .

وَاللهِ مَا هُوَ (لَيسَ هُوَ) بِالشِّعْرِ ، وَلاَ
بِالْكَهَانَـةِ (الإِخْبَـارِ بِالْغَـيبِ) وَلَا
بِالسِّحْرِ . يَامَعْشَرَ (جَمَاعَةَ) قُـرَيشٍ
أَطِيعُونِـى فَاجعَلُوهَـا لِـى . خَلُّـوا بَيـنَ
(أُتُرُكُـوا) الرَّجُـلَ وَمَـا هُـوَ فِيـهِ ،
فَاعتَزِلُوهُ . فَوَاللهِ لَيَكُونَنَّ لِكَلاَمِهِ الَّذِى
سَمِعْتُ نَبَأٌ (خَبَرٌ) . فَإِنْ تُصِبْهُ الْعَرَبُ
فَقَـد كُفِيتُمُـوهُ بِغَيرِكُـم ، وإِنْ يَظهَـرْ
(يَنتَصِرْ) عَلَى الْعَرَبِ فَعِزُّهُ عِزُّكُم .
فَقَالُوا : لَقَد سَحَرَكَ مُحَمَّدٌ .

فَقَالَ : هٰذَا رَأْيِى .

وَقد أَخلَصَ الرَّسُولُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ الْإِخلَاصِ كُلَّهُ فِى الدَّعوَةِ إِلَى الإِسلاَم لَيلاً وَنَهارًا بِإِيمَانٍ قَوِىٍّ . وَدَعَا إِلَى عِبَادَةِ اللّٰهِ وَحدَهُ سِرًّا ثَلاَثَ سَنَواتٍ ، ثُمَّ أَمَرَهُ اللّٰهُ بِالدَّعْوَةِ جَهْرًا (بِصوْتٍ مُرتَفِعٍ) .

عَظَمَةُ مُحمَّدٍ فِى صَرَاحَتِهِ :

لَقَد بَلَّغَ الرَّسُولُ رِسَالَةَ رَبِّهِ بِأَمَانَةٍ وَإِيمَانٍ . وَنَادَى بِكُلِّ إِخْلاَصٍ بِأَنَّهُ

إِنسانٌ فَقِيرٌ ، أُرْسِلَ إِلَى النَّاسِ أَجمَعِينَ : لِيُبَشِّرَهُم وَيَهْدِيَهُمُ الطَّرِيقَ الْمُستَقِيمَ ، وَيُنْذِرَهُم وَيُحَذِّرَهُم مِنَ الضَّلالِ الْمُبِينِ . لَايملِكُ لِنَفسِهِ نَفْعًا وَلا ضَرَرًا ، وَلَا يَعلَمُ الْغَيبَ ، وَيَتَّبِعُ مَا أُوحَى بِهِ اللهُ إِلَيهِ ، وَمُعْجِزَتُهُ الْخَالِدَةُ هِيَ الْقُرآنُ الكَرِيمُ .

وَقَد كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فِي دَعْوَتِهِ صَرِيحًا كُلَّ الصَّرَاحَةِ ، أَمِينًا كُلَّ الْأَمَانَةِ .

قَالَ اللهُ تَعَالَى يُخَاطِبُ رَسُولَهُ : قُلْ

لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَائِنُ اللهِ ، وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ ، وَلاَ أَقُولُ لَكُم إِنِّى مَلَكٌ . إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَىَّ . قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ، أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ . أَى قُلْ : لاَ أَقُولُ لَكُم عِندِى مُسْتَوْدَعُ عُلُومِ اللهِ وَخَزَائِنُهُ الَّتِى مِنهَا يَرزُقُ ، وَلاَ أَعلَمُ مَا غَابَ عَنِّى ، وَلاَ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ ، لاَ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَىَّ ، وَلاَ يَستَوِى الكَافِرُ وَالْمؤمِنُ ، وَالْأَعْمَى وَالْمُبصِرُ ، أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ فِى ذٰلِكَ فَتُؤمِنُوا ؟